

أعلام السلفية (١٧)

ترجمة الشيخ
عمر ابن البسكري العُقْبي

إعداد

مركز سلف للبحوث والدراسات

الشيخ عمر ابن البسكري العُقْبي[1]

اسمه ونسبه ونسبته:

هو: الشيخ عمر بن محمد بن ناجي بن بسكري، ينتهي نسبه إلى بسكري الذي أصبح اسمه لقبًا لعائلته، وأصله من "زْرِيبَة الوادي"، والتي هي الآن بلديةٌ من بلديات دائرة سيدي عقبة، بولاية بسكرة.

مولده:

ولد بسيدي عقبة سنة ١٨٩٨م.

نشأته وتكوينه العلمي:

نشأ الشيخ عمر بمسقط رأسه نشأةً صالحةً، وحفظ القرآن الكريم، وزاول تعليمه بجامع الفاتح عقبة، وقد كان عامرًا بالعلم والعلماء. وامتاز الشّيخ بين طلاب الجامع بالذكاء النادر والنبوغ المبكِّر.

وكان من شيوخه الذين تتلمَذ عليهم: الشيخ المصلح علي بن عثمان بن خلف الله الشريف -وكان أشدَّ شيوخه أثرًا فيه وفي تكوينه-، والشيخ العلامة الهاشمي بن المبارك بن محمد الشريف العقبي، والشيخ علي بن إبراهيم، والشيخ البشير بن الصادق العقبي، والشيخ السعيد الخالدي، وغيرهم.

وقد كان الشيخ عمر محبًّا للشعر والأدب، ميَّالًا إليهما، فضرب بسهم وافر فيهما، فقرض الشعر، وكتب النصوص، وتدرَّب على أساليب الدعوة والإرشاد وفنون الخطابة والمحاضرة، حتى صار يُنعَت بـ: النابغة اللغويّ، وبـ: شاعر الصحراء.

نشاطه وتعليمه ودعوته وجهاده:

---

(١) المصدر: مقال: "داعية الإصلاح الشيخ عمر بن البسكري العقبي"، منشور بموقع ملتقى أهل الحديث.

ت صدَّر ال شيخ عمر لتعليم النا شئة في الكتاتيب بـ سيدي عقبة، وتطوَّع لطلاب العلم في الجامع بتقديم دروس في البلاغة معتمدًا كتاب "جواهر البلاغة"، وفي النحو "ألفية ابن مالك"، وفي الأدب والشعر نصوصًا مختارةً. وقد جلس أمامه من طلبة العلم من كان يكبره سنًّا.

وقد كان له -رحمه الله- مـشاركة في الحركة الإ صلاحية التي اتَّسع نطاقها في بـسكرة و ضواحيها تحت قيادة الداعية الكبير الشيخ الطيب العقبي رحمه الله، فنما فيه حب العلم والمعرفة، وتدرَّب على أساليب الدعوة والإرشاد وفنون الخطابة.

وفي سنة ١٩٣١م انتقل إلى مدينة بـ سكرة للتدريس بمدر سة "الإخاء" صحبةَ ال شيخ بلقا سم الميموني والشيخ الطرابلسي القراري.

وحين تأ سَّست جمعية العلماء المـ سلمين الجزائريين في سنة ١٩٣١م لبَّى دعوتها، فأ صبح من أعضائها الناشطين، ومن الدعاة الناطقين باسمها، والعاملين لنشر مبادئها.

ولما اقتنع الأ ستاذ عبد الحميد بن باديس بمقدرة ال شيخ عمر في الدعوة الإ صلاحية وكفاءته العلميَّة عيَّنه مرشدًا ومعلِّمًا في "مدرسة السعادة" بقرية خليل، بـ ـ"وادي أَمِيزُور"، وهي قرية من قرى ولاية بجاية، وذلك سنة ١٩٣٦م. وما إن آتت دعوة ال شيخ أكلها وثمارها اليانعة في هذه القرية حتى كشَّرت الإدارة الفرنسية الغا شمة عن أنيابها، فأصدرت أمرها بطرد الشيخ وإخراجه منها، فما كان من الشيخ إلا أن غادرها مكرَهًا.

ثمَّ عيَّنه الأ ستاذ ابن باديس داعيًا ومعلِّمًا في مدينة سطيف، فعلَّم في "مدر سة الفتح" الـ صغار من الأبناء، وقام بالدعوة الإ صلاحية في "نادي الإر شاد" الذي كان يحا ضر فيه مرَّة في كل أ سبوع. ودام على ذلك سنتين، وكان من نتائجها ازدهار الحركة الإ صلاحية والتعليمية في مدينة سطيف، لكن الا ستعمار الغا شم أعاد الكرة وطرده من سطيف نهائيًّا، فعُيِّن في مدينة وهران معلِّمًا في مدر سة "دار الفلاح" التي تمَّ افتتاحها، وذلك ابتداءً من سنة ١٩٣٨م، وكان من المدرِّ سين فيها ال شيخ الأمين

القنطري، والشيخ عبد اللطيف القنطري، والشيخ محمد جفال التبسي. وفي سنة ١٩٤٤م حلَّ بوهران الشيخ السعيد الزّمُّوشي معتَمَدًا لجمعية العلماء ومديرًا لمدرسة الفلاح، وعيَّن الشيخ ابن باديس الشيخ عمر مساعدًا له.

وكان الشيخ عظيمًا في إيمانه، محبًّا لوطنه الجزائر، مضحِّيًا من أجله بالغالي والنفيس. وكان شجاعًا يستسهل الصعاب ويقذف بحياته في المخاطر، ومن مواقفه البطولية أنَّه لما ألقى الاستعمار الفرنسي الغاشم القبض على بنيه -وكانوا فدائيِّين أثناء الثورة التحريرية- وحضر الشيخ عمر محاكمتهم في مدينة باتنة، قال لهم في جلسة المحاكمة لمَّا رآهم مقيَّدين: "لِهَذا أَنجَبتُكم".

ثناء العلماء عليه:

١- كتب الشيخ عمر -رحمه الله- مقالًا بعنوان: " سوء التفاهم وأثره على الوحدة الإسلامية، أو المناظرة بين المصلح والمحافظ "، ردَّ فيه على بعض الطرقيِّين الذين تهجَّموا على الدعوة الإصلاحية، فامتدحه الفتى القبائلي الشيخ الفضيل الورتلاني بقوله: "فقد عرفنا علماءَنا الناصحين المرشدين -والحمد لله- بواسطة كتاباتهم... فحسبك ما دبَّجه أخيرًا يراع العالم المستدلّ والمطَّلع الناقل الشيخ عمر بن البسكري، فلقد بحث وأصاب، وبيَّن وأجاد، ونتمنَّى له الرجوعَ إلى الميدان؛ لكشف ما بقي من ضعف الإسناد، ويظهر سوء التفاهم من العناد".

٢- ويقول ابن باديس وهو يعرِّف به: "لنا أخٌ في الله ببلدةِ الفاتح العظيم سيدي عقبة بن نافع ممَّن يحفظون كتاب الله، ويتدبَّرونه، ويهتدون به، ويعملون على نشر هدايته، ويشاركون في العلوم الشرعية والأدبية والعقلية، ويضربون في اللغة الفرنسية بسهم، هو الشيخ عمر بن البسكري... وقد كان الشيخ معلِّما للصبيان خاملًا، فهداه العلم ووفَّقه لمطالعة كتب السَّلَف، فأصبح من أهل العلم العاملين وعباد الله الصّالحين، وقد بين لي في كتاب خاصٍّ ما طالعه من الكتب".

٣- وكتب الشيخ عمر لمجلة "الشهاب" تهنئةً وشكرًا، وكتب اعتذارًا عن انقطاعه عنها زهاء أربع سنين، فعلق عليه ابن باديس بقوله: "نشكر فضيلة الأخ على حسن ظنِّه بهذه الصحيفة... ونحن نعرف فضيلتَه، من يوم عرفناه لا ينقطع عن الكتابة والتعليم والإرشاد، فاذا لم يكتب فهو يعلِّم أو يرشِد، فلم ينقطع -والحمد لله- عن الخير".

٤- وقال الشيخ الإبراهيمي: "الشيخ عمر البسكري داعية جهير الصوت بالإصلاح، كاتب متين القلم في الدينيَّات، سديد الرأي فيها، قويّ الحجّة في مباحثها، أكسبه ذلك قيامه على كتب الفحول من فقهاء السنَّة؛ أمثال ابن تيمية وابن القيم والشوكاني، وهي كتب تربِّي ملكة البرهان. والشيخ عمر يقرض الشعر في المناسبات المتّصلة بفنه، فيرسله ملوَّنًا بعاطفته متأثّرًا بإحساسه عامرًا بالمعاني، ويغفل عمَّا وراء ذلك من أحكام الصنعة وسياسة التراكيب... والشيخ عمر أجلدُ دُعاتنا وكُتَّابنا على المطالعة والقراءة... ولو أن الشيخ عمر أعطى كتبَ الأدب ودواوين الشعر من العناية مثل ما أعطى كتب فقه السنّة لاستحكام سبكه، وفحل شعره، وجزلت تراكيبه".

مؤلفاته:

نشرت له صحف جمعية العلماء العديد من المقالات والخطب والمحاضرات والقصائد، ومن ذلك: سلسلة المحاضرات التي كان يلقيها في "نادي الإرشاد"، وكان العنوان العام لها هو: "فذكِّر بالقرآن من يخاف وعيدي".

وكان له بعض المؤلَّفات، منها:

- ديوان شِعر، قال الأستاذ الحسن فضلاء: "وأذكر أني كنت أزوره في متجره بوهران عندما كنتُ مدير مدرسة الفلاح، فأطلعني في إحدى المرات على كراس كبير الحجم، يضمُّ عددًا من القصائد، وقد قرأ عليَّ بعضها".

- العلويَّات، وهو ديوان جمع فيه ما نظمه في شيخه علي بن عثمان الشريف من كلِّ عقد ثمين وعمره إذ ذاك يناهز العشرين.

- ديوان آخر بعنوان: الوهرانيّات.

وفاته:

توفي -رحمه الله- بسكتة قلبية في مستشفى "كونيو" بمدينة وهران، وذلك يوم ٣ مارس سنة ١٩٨٦م، وكانت جنازته مشهودة.

من كلماته الإصلاحية:

١- يقول في قصيدةٍ له بمناسبة الاحتفال الذي أقيم لافتتاح جامع مدينة "وادي ارْهِيوْ" ومدرستها:

بين داعي الهدى وداع الهـوان   بان لي الرشد ماثلا للعيان
أيهـا المسلـم الغريـب تقـدم   وتـعزَّز بعصبـة الإيـمـان
واصدع اليوم بالذي كنت في أم   سك تُخفيه خيفةَ الشنـآن
ذهبـت تلكـمُ الزُّرود وولَّـت   وبكاها الشيطان للشيطان
إن لله ذلك المسجد المعمور   لا للـضـرار والبـهـتـان
قـد بنينـاه بـل بنيـنـا قلاعًـا   وهدمنا معـابد الأوثـان
سارعوا للشفا بالعلم والدين   وإني أعيذكم مـن توانـي

٢- قال -رحمه الله- في كتابٍ كتبه إلى الشيخ ابن باديس؛ مبيِّنًا له ما طالعه من الكتب: "وأما توغُّلنا في العلم الصحيح السَّلَفيّ فهو ضالَّتنا المنشودَة التي ظفرنا بها، وسعادتُنا العظمى التي أرجو بها الفوز عند الله والزلفى، والتي نفثت في روعنا -والحمد لله- توحيدًا خالصًا من شوائب الشرك وإيمانا ناشئًا عن نظرٍ صحيح، ومن الكتب التي طالعناها مطالعةَ تحصيلٍ: "الإحكام" للآمدي، "بداية المجتهد" "الاعتصام" للشاطبي، "منهاج السنة" وغيره من كتب الإمام ابن تيمية، "إعلام الموقعين"

و"إغاثة اللهفان" وغيرهما للإمام ابن القيم، "الدر النضيد" وغيره من كتب الشوكاني، وغير هذا من كتب العلم الصَّحيحة، بعدما طالعنا "الموطأ" و"صحيح البخاري" وبعض التفاسير الصحيحة، ولم يفُتنا من مجلَّتكم الزاهرة بمجالس التذكير عددٌ واحد، فكم أفادتنا من علوم -أدام الله حياة منشئها للإسلام-".